

تفسير البحر المحيط

@ 228 @ الرَّحْمَةُ { جاعل نفع الخلائق بعضهم ببعض . وقال الزمخشري : { ذُو

الرَّحْمَةِ } يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة . .

{ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ } إِنَّ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ { هذا فيه إظهار القدرة التامة والغنى المطلق والخطاب عام للخلق كلهم ، كما قال : { إِنَّ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ } أيها الناس ويأت

بآخرين فالمعنى إن يشأ إفناء هذا العالم واستخلاف ما يشاء من الخلق غيرهم فعل ، والإذهاب هنا الإهلاك إهلاك الاستئصال لا الإمامة ناساً بعد ناس لأن ذلك واقع فلا يعلق الواقع على أن

يشأ . وقيل : الخطاب لأهل مكة . وقال عطاء : يعني الأنصار والتابعين . وقيل : {

يُذْهِبْكُمْ } أيها العصاة { وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَّا يَشَاءُ } من النوع الطائع و { كَمَا أَنْشَأَكُمْ } في موضع مصدر على غير الصدر لقوله : { وَيَسْتَخْلِفْ

{ لأن معناه وينشئ والمعنى إن يشأ الإذهاب والاستخلاف يذهبكم ويستخلف فكل من الإذهاب

والاستخلاف معذوق بمشيئته و { مِنْ } لابتداء الغاية . وقال ابن عطية : للتبعيض . وقال

الطبري : وتبعه مكى هي بمعنى أخذت من ثوبي ديناراً بمعنى عنه وعوضه ؛ انتهى ، يعني

إنها بدلية والمعنى من أولاد قوم متقدمين أصلهم آدم عليه السلام . وقال الزمخشري : من

أولاد { قَوْمٍ } آخرين { لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح ؛ انتهى . ويعني

أنكم { مِّنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ } صالحين فلو شاء أذهبكم أيها العصاة ويستخلف بعدكم

طائعين ، كما أنكم عصاة أنشأكم من قوم طائعين وما في قوله : { مَّا يَشَاءُ } قيل بمعنى

من والأولى إن كان المقدار استخلافه من غير العاقل فهي واقعة موقعها وإن كان عاقلاً فيكون

قد أريد بها النوع . وقرأ زيد بن ثابت { ذُرِّيَّةٍ } بفتح الذال وكذا في آل عمران

وأبان بن عثمان { ذُرِّيَّةٍ } بفتح الذال وتخفيف الراء المكسورة وعند { ذُرِّيَّةٍ } {

على وزن ضربة وتضمنت هذه الآية التحذير من بطش الله في التعجيل بذلك . .

{ إِنَّ مَّا تُوْعَدُونَ لَأَتِي } ظاهر ما العموم في كل ما يوعد به . وقال الحسن : من

مجئ الساعة لأنهم كانوا يكذبون بها . وقيل : من الوعد والوعيد . وقيل : من النصر

لِلرَّسُولِ لَكائن . وقيل : من العذاب { * الْآتِي } يوم القيامة . وقيل : من الوعد يوم

القيامة لقرينة { لَأَتِي } وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ { والإشارة إلى هذا الوعد المتقدم

خصوصاً وإما أن يكون للعموم مطلقاً فذلك يتضمن إنفاذ الوعيد والعقائد تردد ذلك ؛ انتهى

وقال أبو عبد الله الرازي : الوعد مخصوص بالإخبار عن الثواب فهو آت لا محالة ، فتخصيص

الوعد بهذا الجزم يدل على أن جانب الوعيد ليس كذلك ويقوي هذا الوجه أنه قال : { وَمَا
أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ } أي لا تخرجون عن قدرتنا وحكمتنا فلما ذكر الوعد جزم ، ولما ذكر
الوعد ما زاد على { وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ } وذلك يدل على أن جانب الرحمة غالب
فتلخص في قوله : { مَّا تُوْعَدُونَ } العموم ويخرج منه ما خرج بالدليل أو يراد به
الخصوص من الحشر أو النصر أو الوعيد أو الوعد أي بلازمهما من الثواب أو العقاب أو
مجموعهما ستة أقوال . وكتبت أن مفصلة من ما وما بمعنى الذي وفي هذه الجملة إشعار بقصر
الأمل وقرب الأجل والمجازاة على العمل . .

{ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ } أي فائتين أعجزني الشيء : فاتني أي لا يفوتنا عن ما
أردنا بكم . قال ابن عطية : معناه بناجين وهنا تفسير باللازم . .
{ قُلْ يَا أَهْلَ * قَوْمٍ * اَعْمَلُوا * عِلَالَى مَكَانَتِكُمْ * إِنَّ زُنَى عَمَلٍ * فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ * مَنْ تَكُونُ لَهُ * عَاقِبَةُ الدَّارِ * إِنَّ زُنَاهُ * لَا يُفْلِحُ * الطَّالِمُونَ }
قرأ أبو بكر على مكاناتكم على الجمع حيث وقع فمن جمع قابل جمع المخاطبين بالجمع ومن
أفرد فعلى الجنس والمكانة ، مصدر مكن فالميم أصلية وبمعنى المكان ويقال : المكان
والمكانة مفعول ومفعلة من الكون فالميم زائدة فيحتمل أن يكون المعنى على تمكنكم من
أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم ، قال معناه الزجاج ، ويحتمل أن يكون المعنى على جهتكم
وحالكم التي أنتم عليها ، يقال : على مكانتك يا فلان إذا أمرته أن يثبت على حاله أي